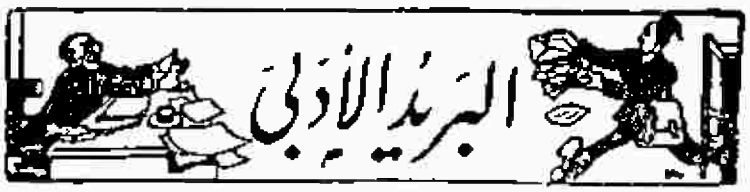

بيان وتنبيه !

١ — قرأت للمرة الأولى كتاب التصوف وفريد الدين العطار للدكتور عبد الوهاب عزام بك مع نقده في مجلة الكتاب الغراء، وقد طلب الناقد الكشف عن فقرة فشر حتها، ولم يتيسر إيضاح الفقرة الثانية.

ثم قرأته للمرة الثانية ولا زالت تلك الكلمة أمام ناظري، حتى تبين لي وجه الصواب فيها. وتلك الكلمة هي قول الجنيد كما وردت في الكتاب المذكور « ليس الاعتبار بالخرقة، إنما الاعتبار بالخرقة ».

وقد قال الناقد فيها في مجلة الكتاب «وهنا يدعو أن نسأل الدكتور عن تساهله أحياناً في إيراد القول الواحد على وجهين قد لا يتأتى بهما للمعنى، ولكن تتأثر بهما إرادة التحقيق، فقد روى في ص٢٩ عن الجنيد أنه قال : ليس الاعتبار بالخرقة، إنما الاعتبار بالخرقة » وفي ص ٣١ ذكر أن الجنيد قال : إنما الاعتبار بالخرقة وليس الاعتبار بالخرقة «ومؤدى الروايتين ومفوظهما يكاد يكون واحداً لولا الفرق بين إيراد النفي أولا والحصر بإنما ثانياً وما يتبع ذلك من فرق دقيق في المعنى من حيث علم المعاني ... ».

وأقول : إن الصوفية همهم العمل ظاهراً وباطناً، فظاهراً الاحتراف وعدم الكسل، وباطناً تنقية النفس من أدرانها حتى تكون العبادة على صفاء. وقد كان الأكابر من رجال الطريق عند ما يأخذون على أحد العهد يغرونه على حرفته ويطلبون منه عدم تركها والإحسان فيها. ولما كان الخواص يقول : إن الذي يأكل من كسبه ولو مكروهاً كالحجام أحسن من المتعبد الذي يأكل بدينه ويطعمه الناس لصلاحه. وكان رضي الله عنه لا يجيب فقيراً إلى طعامه إلا إذا علم أن له كسباً شرعياً من تجارة أو زراعة أو صنعة. وقد سأل شخص من الأمراء أن يعمل له مولداً فأبى الشيخ وقال : والله إن كسبي من هذا الخوص لا يسعني الأكل منه، فكيف آكل من كسب الأمراء أو أدعو الناس إلى الأكل منه !

مما ذكر يتضح أن التصوف الحق هو العمل وهو المراد من قول الجنيد رضي الله عنه. وصحة قوله هو : ليس الاعتبار بالخرقة، أي بلبس ثياب المتصوفة، إنما الاعتبار بالخرقة أي الصنعة. بمعنى أن الدين الصحيح والعبادة الحقة ليس لبس الإنسان لباس التقشف والدعشة على حساب الغير وترك الكسب، وإنما هو الاحتراف ومنفعة العباد، فلا خير في شخص لا فائدة في حياته. وهذا نبي الله داود عليه السلام مع مرتبته « كان يأكل من عمل يده ».

فالعمل في نظر التصوفة هو الحياة، ولا خير في حياة بلا عمل.

٢ — ظللت أرتع في رياض كتاب « عبقرية محمد » للأستاذ عباس محمود العقاد وأستمتع بالنظر إليها وبأريجها، وبما فيها من جمال وجلال، ولكني وجدت نبتة صغيرة — ليس لها مكان — يسهل اقتلاعها إذ لا يسع أن يشملها هذا الروض العطر.

وأفصح فأقول وجدت حديثاً في ص٢٣٩ وهو « كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف ... ».

وهذا الحديث القدسي ليس مذكوراً في الكتب المعتمدة في الحديث، وقد قال عنه ابن تيمية : ليس من كلام النبي عليه السلام ولا يعرف له سند صحيح. «وتبعه الزركشي وابن حجر والسيوطي وغيرهم، ومن المتأخرين من أفتى ببطلانه. ولو ورد على لسان بعض المتصوفة فليس لبعضهم باع في ذلك وقد قال أحد أكابرهم وهو النزالي « أنا مزجى البضاعة في الحديث ». ولأن مدار صحة الحديث على السند، وهذا الحديث الذي معنا لا سند له.

ولو خلا منه كتاب الأستاذ العقاد لما أثر فيه ولما ذهب من جماله شيء بل يزيده جمالاً فوق جماله.

(شطانوف) محمد منصور خضر

عيب فطري :

يكاد يجتمع الكاتبون في عصرنا على أن الحب الطاهر لم

يجد له وجود إلا في بطون الكتب ، وخيالات الشعراء ، وأحلام المحررين ، ويرون أن الحب إن كان بالأمس سمواً بالنفس عن الدنيات ، وانتفاعاً بالروح عن أوضار التراب ، فإنه اليوم شهوة جسد إلى جسد ، ورغبة جنس في جنس ، قالوا ، ولا يدعي الهوى الطاهر إلا أحد رجلين إما مجنون أو مغالط .

وقد حدثني صاحبي — وما عهدته يكذب — بقصة أسوقها لقراء الرسالة ، أنا أعلم أن حلم الفقير منهم سيزم شفتيه ، ويحملق بعينيه ، ويرسل خياله في الأفق ثم يقول : أين ، ومتى ؟ وأن القليل ، أوالأقل من القليل، سيتفاءل ، ويقول : يحتمل، ولكنني على كل حال واثق من صدق صاحبي ، مؤمن بما قال ، وقد أوجز قصة صاحبته فقال : هي فتاة لم تبلغ العشرين من عمرها ، وهذه السن هي سن الطيش والزهو عند الفتيان والفتيات ، ولكن هذه الآنسة أثبتت بسلوكها أن الفتاة المتدينة المحافظة ، المترفعة بنفسها ، الخاضعة لكبريائها ، تستطيع أن تكون قوية الإرادة ، صادقة العزيمة ، فلا تندفع وراء عواطفها ، ولا يجرفها التيار ، رأته فأحبته ، أحبته حباً شديداً ملك عليها نفسها ، وسيطر على مشاعرها ، وكما يقول الرافعي رحمه الله : « أراه حباً قاتلاً كبدي » كان شاباً مديد القامة ، أبيض الوجه ، مفتول العضل؛ وكان فوق ذلك (فناناً) ، أحبته ، وتطلعت نفسها إليه ، وأوشكت أن تزل إلى الشارع لتتحدث إليه ، وتنعم بقربه ، ولكنها — بعد جهاد نفسي عنيف — خضعت لكبريائها ، وزلت عند تقاليد أسرتها ، فآلت على نفسها أن تتجلد ، وتتحمل ، وأن تترك حبه يفعل في نفسها ما يفعل .

قال صاحبي : وأتيح لي أن أطلع على سرها وأن أتحدث إليها فيه ، فسألتها مرة : كيف عرفت هذا الفتى ؟ قالت : رأيته يروح ويغدو إلى مدرسته في هدوء الفنان ، قلت : ما اسمه ؟ قالت : ذلك اسم مقدس ، لا أسمح لنفسي أن تنطق به ، ولا أبيح لغيري أن ينطق به أمامي ، قلت : هل تريدينه زوجاً لك ؟ قالت : لا . إنه جميل ، إنه أجل مني ، وأنا لا أصلح له . إن كل ما أرجوه أن يبلغ قمة الشهرة في فنه ، وأن يتزوج بفتاة جميلة تسعده ، ولا أريد أن يضحي بعواطفه في سبيلي . قلت : كأنه يحب أخرى ، قالت : نعم ، قلت : هذا شاب صغير النفس ، قالت تريد سيدي ، أرجو أن تتأدب في الحديث عنه . إنني أحبه حباً خالصاً ، لا أريد من ورائه ما تريده الفتيات أمثالي ، وسأظل وفية له ، ولو أحب مائة فتاة أخرى . ويا حبذا لو استطعت أن أقدم إليه ما يساعده على بلوغ آماله .

تلك هي قصة هذه الفتاة المثالية ، فما رأي قراء الرسالة ؟

علي العماري

الجمع بين الأختين :

ورد في القصة التي نشرتها السيدة بنت الشاطىء في مجلة الهلال لشهر حزيران (يونيه) إن الزوج قد جمع بين أختين في زواج واحد ، حيث قالت الكاتبة : (حيث شاع في الحي بعد حين أنه تزوج من أختها وهي أرملة ...) وجاء أيضاً في الصفحة ذاتها (... فمكثت حيث هي ، تضع عيناً على طفلتها ، وترسل الأخرى وراء الزوج والضرة الأخت وبنتيها) .

ولما كان أدب القصة يقضي أن تكون القصة منزعة من صميم المجتمع مصورة تقاليده ، واعية شعائره ، ممثلة لشتى النزعات والخلجات التي تدور في نفوس أشخاصه لكي يسهل أداء الرسالة وتحقيق الغاية التي يهدف من ورائها القاص . ولست أدري كيف غرب عن بال الكاتبة الفاضلة أن الجمع بين الأختين محرم في الشريعة الإسلامية السمحة ، إذ أن القاعدة فيها أنه يحرم الجمع بين امرأتين لو فرض أحدهما ذكراً حرمت عليه الأخرى ، كالجمع بين الأختين وبين امرأة وعمتها أو خالتها أو بنت أخيها أو بنت أختها . لأنه لو كانت أحداهما رجلاً ، كانت الأخرى أخته أو عمته أو خالته أو بنت أخيه أو بنت أخته وذلك لقوله تعالى في كتابه الكريم : (وأن تجمعوا بين الأختين) . ولقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم : « لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة أخيها ولا على ابنة أختها ، فإنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم » وبهذه المناسبة أقول إن الجعفرية تذهب إلى أنه يجوز للرجل أن يتزوج على امرأته بنت أخيها أو بنت أختها برضا من امرأته . وعمتها وخالتها مطلقاً خلافاً لجمع الجمع على ما ورد في النص .

هذا وللكاتبة الفاضلة ولصاحب (الرسالة) الغراء جزيل الشكر

(بغداد — كرخ)

محمد العبطة الحامي